عَبْدُ اللهِ بنُ الحَشْرَجِ الأَحْمَسِيّ
أخبارُه و مَقْطُوعاتٌ من شِعْرِه

الملخص :

تتناول هذه الدراسة شاعرا قد يما من شعراء العرب المغمورين ، الذين طواهم الزمن فأغفلهم المشتغلون بالشعر العربي القديم . و حرصا مناعلى إحياء تراثنا و بعث كنوزه كانت هذه الدراسة مساهمة منا في هذا الاتجاه قصد التعريف بهذا الشاعر المغمور ، و تقديم أخباره و نتاجه مادة حية بين أيدي الباحثين في حقل الشعر العربي القديـــــــــــــــم .

أ. دكتور رضوان محمد النجار

قسم اللغة العربية و آدابه
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية
– جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان–

فعبْدُ اللهِ بنُ الحشْرَج شاعرٌ من شُعَراءِ العَرَبِ القُدامى المُقِلّين ، و أحَدُ الذينَ غمَرَهُمُ التّاريخُ ، و تناسَاهمُ الأحْفادُ ، و طواهمْ تَعاقُبُ اللّيْلِ و النّهار.

إنّهُ عَبْدُ اللهِ بنُ الحَشْرَجِ بن الأشْهَبِ بن وَرْدِ بن عمرو بن ربيعة بن جعْدَةَ ابن كَعْبِ بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعاوية بن بَكْر بن هوازن[1] .

أقرَّ الجميعُ أنّ اسمه عبدُ اللهِ ، و لم يختلفْ في ذلك اثنان.

أمّا والدُه فهو الحشرجُ ، و قد أشارَ المادحُونَ إليه ، فقالَ زيادُ بنُ الأعْجَم :

إنّ السَّماحة و الشَّجاعة والنـــدى في قُبّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْـــرَجِ

و الحَشْرَجُ لُغة : حِسْيٌ يكونُ فيه حَصًى[2].

أحبَّ الأشهبُ و هو الجدُّ الأوّلُ و لديْهِ ، الابنَ و الحفيدَ ، و هما الحشرجُ و ابنُه عبدُ اللهِ.

و أرادَ لكلٍ منها الاتصافَ بالسماحة و النَّدى ، و هي سماتٌ إنْ لم تتحقّقْ بكاملها للحشرج فقد تحقّقتْ كُلُّها – من بعده – لولدِه عبدِ اللهِ بن الحشرج. يقول شاعرُنا :

أبى لِي جدّي البُخْلَ مُذْ كُنْتُ يافِعـــا صغيرا و منْ يبخلْ يُلَمْ و يُضَلَّـــلِ

في تأكيدِ هذه الصّفاتِ لآلِ الأشهب يقولُ أحدُ الشُّعَراءِ :

إذا كُنْتَ مُرتادَ السَّماحةِ و النَّـــــدى فسَائِلْ تُخَبِّرْ عَنْ دِيارِ الأشَاهِـــبِ

فخر عبدُ اللهِ بنُ الحشرج بنفسِه و آبائِه الأقدمين فقالَ :

و لكِنّني امْرُؤٌ عوّدْتُ نفسِـــــــــــي علَى عِلاّتِها جَرْيَ الجَـــــــــــوادِ

مُحافظةً على حسَبي و أرْعَـــــــــى مَساعِيَ آلِ وَرْدٍ و الرُّقَـــــــــادِ

وَ وَرْدٌ هو الجدُّ الثّاني لِعَبْدِ اللهِ بن الحشرج بن الأشْهَبِ ، و هوَ -كما ذكَرَ التّبريزيُّ - وَرْدُ بنُ عَمْرو بن عبدِ اللهِ بن جَعْدَةَ . أمّا الرُّقّاد فهو أخُو وَرْدٍ.

و هذا النَّسَبُ المتعلّقُ بالشّاعرِ وَ الّذي تَوَصّلْنَا إلَيْهِ مِنَ إستِنْطاقِنَا لِشِعْرِهِ ، هُوَ نَفْسُهُ الّذي استَقَيْنَاهُ من أغَاني أبي الفرج الأصفاني ، و إنّه : عَبْدُ اللهِ بنُ الحَشْرَج بن الأشْهَبِ بن وَرْدِ بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدَةَ.

و زادَ أبو الفرج فقالَ : جَعْدَةُ بنُ كَعْبِ بن رَبيعَة بن عَامِر بن صَعْصَعَة بن مُعَاوِيَة بن بَكْر بن هَوَازِنَ.

كان عَبْدُ اللهِ بنُ الحَشْرَج سَيداً من ساداتِ قَيْسٍ و أميراً من أمرائِها ، ولِي أكثرَ أعمالَ خُراسانَ ، و مِن أعمالِ فارسَ ، و كرمانَ. و كان جَواداً مُمَدَّحاً.

وَ قَدَ زيادٌ الأعجم على عبْدِ اللهِ بن الحشرج الجَعْديِّ و هو بسابُورَ أميرٌ عليها ، فأمرَ بإنْزالِه و ألطفه و بعثَ إليهِ ما يحتاجُ إليه . ثم غدا عليه زيادٌ فأنشده :

إنَّ السَّماحة و المروءةَ و النَّـــــدى ... في قُبَّةٍ ضُربتْ على ابن الحَشْرَج

مَلِكٌ أغَرُّ مُتَوَّجٌ ذُو نَائِـــــــــل ... لِمُعَتَّفِينَ يميلُهَشَّشَنَـــــــــــج[1]

يا خَيْرَ مَن صَعِدَ المنَابرَ بالتُّقـــــى ... بعد الُ لم نَبيٍّ المُصْطفى المتَحرِّج[2]

لَمَّا أتَيْتُكَ رَاجِياً لِنوالِكُـــــــــمْ ... أَلْفَيْتُ بَابَ نَوالِكُمْ لم يُرتَـــــــج[3]

قال : فأمر له بعشرةِ آلافِ دِرْهَم.

و له يقول أيْضاً :

إذَا كُنْتَ مُرتَادَ السَّمَاحَةِ و النَّـــــدى ... فَسَائِلْ تُخَبَّرْ عَنْ ديار الأشَاهِـــبِ

نَسَبَهُ إلى الأشْهَبِ جَدِّه . و في بَنِي الأشْهَبِ يقول نابغةُ بَنِي جَعْدَةَ :

أبْعَـــــــدَ فوَارِس يـــــومَ الشُّرَيـــــ ... ـفِ آسَى و بعدَ بَنِي الأشْهَـــــــبِ

و كان أبوه الحشرجُ بنُ الأشهبِ سَيِّداً شاعراً و أميراً كبيراً . و كان غَلَبَ على قُهستانَ في زمن عبدِ اللهِ بن خازمٍ ، فبعثَ إليه عبدُ اللهِ بنُ خازمٍ ، المسيَّبَ بنَ أوفى القُشَيريّ ، فقتلَ الحشرجَ و أخذ قُهستانَ . و كان عمُّه زيادُ بنُ الأشهبِ أيضاً شريفاً سيِّداً ، و كان قد سار إلى أميرِ المؤمنينَ عليِّ بن أبي طالبٍ - عليه السلام - يُصلِحُ بينَه و بينَ مُعاوية على أن يولّيَه الشّامَ فلم يُجِبْهُ . و في ذلك يقولُ نابغةُ بني جَعْدَةَ يَعُدُّ على مُعاوية :

و قامَ زيادٌ عندَ بابِ ابنِ هَاشِـــــــم ... يُريدُ صَلاحاً بَيْنَكُمْ و يُقَـــــــرِّبُ

و قال عنه خيرُ الدّين الزِّرِكْلِي[1] :

عبدُ اللهِ بنُ الحشرَج بن الأشهبِ بن وَرْدٍ الجَعْدِيّ ، والٍ من ساداتِ قَيْسٍ و شعرائِها ، و أحَدِ الأجوادِ المَعْدُودِينَ ، ولِيَ أكثرَ أعمالِ خُرَاسانَ ، و بعضَ أعمالِ فارسَ و كَرْمَانَ ، في أيامِ عبد المَلِكِ بن مروانَ ، و كان مُحَمَّدُ بنُ مَرْوَانَ صَديقاً له، مُعْجَبَاً بأخْلاقِه و كَرَمِهِ ، يَشْفَعُ لَهُ عندَ أخيه عبدِ المَلِكِ فيوليّه الأعمالَ، و لَهُ مدائحُ في محمَّدِ بن مَرْوانَ.

و كانت وفاته نحو 90 هـ الموافق 708 م.

---

[1]- الأعلام 82/4 - 83 (بيروت - دار العلم للملايين - الطبعة السابعة - 1986)

مَقطوفاتٌ مِنْ شِعْرِه(*)
القصيدةُ رقم "1"(**)

وَ قالَ : عَلى المُتَدارك مِنَ الطَّويل

1. سَأجعلُ مالِي دونَ عِرْضِي وقايـــة ... من الذَّمِّ ؛ إنَّ المالَ يَفْنَى و يَنفَدُ
2. و يُبْقِي لِيَ الجودُ اصطناعَ عَشِيرَتِي ... وَ غيْرهُمُ و الجودُ عِزٌّ مُؤَبَّـدُ
3. و مُتَّخِذٍ ذنباً عَلَيَّ سَمَاحتـــــي ... بمالِي ، و نارُ البُخلِ بالذَّمِّ تُوقَـدُ
4. يَبِيدُ الفتى و الحمدُ ليسَ ببائـــــدٍ ... و لكِنَّهُ للمرءِ فضلٌ مُؤكَّـــدُ
5. و لاَ شيءَ يَبْقَى للفتى غَيْرُ جُـــودِهِ ... بمَا ملَكَتْ كَفَّاهُ و القومُ شُهَّـــدُ
6. وَ لائمةٍ في الجودِ نَهْنَهْتُ(6) غَرْبَهـا ... وَ قُلتُ لهَا بَنْيُ المكارمِ أحْمَـــدُ
7. فلمَّا ألحَّتْ في الملاَمَةِ و اعْتَـــرتْ ... بذَلِكَ غَيْظِي و اعْتَراهَا التَّبلـــدُ
8. عَرَضْتُ عليها خُصلَتَينِ سَمَاحَتِـــي ... وَ تَطْلِيقُهَا ، و الكَفُّ عَنِّي أرْشَـــدُ
9. فَلجَّتْ وَ قالتْ أنْتَ غَاوٍ مُبَـــــذِّرٌ ... قَرِينُكَ شَيْطانٌ(7) مَريدٌ مُفَنِّـــد(8)
10. فقُلْتُ لها بِيْنِي فمـــا فيكِ رَغْبَـــةٌ ... ولِي عنكِ في النِّسوانِ ظِلٌّ ومَقْعَدُ
11. و عَيْشٌ أنيقٌ و النِّساءُ مَعَـــــادِنٌ ... فمنهُنَّ غُلٌّ شَرُّهَـــا يتَمَـــرَّد(9)
12. لَهَا كُلَّ يومٍ فوقَ رأسِي عَـــــارِضٌ ... مِنَ الشَّرِّ برَّاقٌ يَدَ الدَّهْرِ يُرعِـــدُ
13. و أخرَى يَلَذُّ العيشَ مِنْهَا، ضَجِيعُهَـــا ... كريمٌ يُغادِيهِ من الطَّيرِ أسْعَـــدُ
14. فيا رَجُلاً حُرًّا خُذِ القَصْدَ وَاتْرُكِ الـــ ... ـبلايا فإنَّ الموتَ للنَّاسِ ، مَوْعِدُ
15. فعِشْ نَاعِماً و اتْرُكْ مَقَالةَ عَـــــاذِلٍ ... يَلومُكَ في بَذْلِ النَّدَى و يُفَنِّـــدُ
16. وُجِد باللُّها(10) إنَّ السَّماحةَ و النَّـــدى ... هي الغايةُ القُصْوى وفيها التَّمَجُّـــدُ
17. وَ حَسْبُ الفتى مَجْداً سَمَاحَـــةُ كَفِّـــه ... وَ ذو المجدِ محمودُ الفِعالِ مُحَمَّـــدُ

(*) – رتَّبْتُ الشعرَ وَفقَ الرَّويِّ ، و حَسَبَ الحروفِ الهجائيَّةِ ، المرفوعُ أوَّلا ، فالمنصوبُ ثانيا ، و المجرورُ ثالثًا و المقيَّدُ أخيرا. و عَمِلتُ عَلى ضَبْطِ الشِّعْرِ و تَحْرِيجِهِ ، و شَرْحِ غَرِيبِهِ ، و تفسيرِ ما أرى وُجُوبَ بَيانِهِ و تَوْضِيحِهِ مِنْ مُنَاسبَةِ القصيدةِ ، أو ما يَدُورُ حَوْلَهَا مِن طرائفَ و أقوالٍ و أخبارٍ.
و أنبّه أنَّ أرقامَ الهوامشِ هِي تَبَعاً لأرقامِ أبياتِ الشعرِ في المتْنِ.

(**) – وردت هذه القصيدة منسوبة إلى عبدِ اللهِ بن الحشرج في كتابِ الأغاني لأبي الفرجِ الأصفهاني 24/12 – 25

القصيدة رقم "2" (*)

قال : على المُتَواتِر من الطَّويل

1. مَتَى يَأتِنَا الغَيْثُ المُغِيثُ تَجِدْ لَنَـــــا مَكَارِمَ مَا تَعيا بأموالِنَا النُّـــــدِ(11)
2. مكارمَ ما جُدنا به إذ تَمنَّعَـــــــتْ رجالُ وضنَّتْ في الرَّخاءوفي الجهدِ
3. أرَدْنَا بما جُدْنَا بهِ من تِلادِنَـــــــا خلافَ الذي يأتي خيارُ بني نَهْـدِ(12)
4. تَلُومُ عَلَيَّ اثلافِيَ المالَ طُلَّتَـــــي(13) ويُسْعِدُهَا نَهدُ بنُ زَيدٍ على الزُّهْـــدِ
5. أنهدُ بنُ زَيدٍ لستُ منكُمْ فتُشفَقُـــــوا عَلَيَّ ولا مِنكُمْ غَواتي(14) ولا رُشْـــدِي
6. أبَيْتُ صَغِيراً ناشئاً ما أردْتَـــــــمُ وكَهْلاً وحتَّى تُبصِرُونيَ في اللَّحْـدِ
7. سأبْذُلُ مَالِي إنَّ مالِي ذخِـــــــيرَةٌ لِعَقْبِي و ما أجْنِي به ثَمَرَ الخُلْـــدِ
8. وَ لستُ بمِبْكَاءٍ على الزَّادِ باســـلٍ(16) يَهرُّ على الأزوادِ كالأسَدِ الوَرْدِ
9. و لكِنَّنِي سَمْحٌ بما حُزْتُ بَـــــاذِلٌ لِمَا كُلِّفَتْ كَفَّايَ في الزَّمَنِ الجَحْـــدِ
10. يذلك أوْصَانِي الرُّقادُ(17) و قبْلَـــهُ أبُوه بأنْ أعْطِي وَ أوْفِيَ بالعَهْـدِ

القصيدة رقم "3" (*)

و قال على المتواترمن الطويل

1. ألامُ على جُودِي وَ مَاخِلْتُ أنَّنِـــي بِبَذْلِي وجُوْدِي جُرْتُ عن منهج القَصْدِ
2. فيَا لائِمِي في الجودِ أقصِرْ فإنَّنِـــي سَأبْذُلُ مَالِي في الرَّخَاءِ و في الجَهْـدِ
3. وَجَدْتُ الفَتَى يَفنِي و تَبْقَى فِعالُـــهُ وَ لا شيءَ خيرٌ في الحديثِ مِنَ الحَمْدِ
4. وَ إنِي و باللهِ احتيالي و حِرْفَتِـــي أصَيِّرُ جَاري بينَ أحشايَ و الكَبْـــدِ
5. أرَى حقَّه في النَّاس ما عِشْتُ واجبا عَلَيَّ و آتي ما أتَيْتُ على عَمْـــدِ
6. و صاحِبِ صِدْقٍ كانَ لِي فَفَقَدْتُـــهُ وصَيَّرَنِي دَهْرِي إلى مَائِقٍ وَ غْـدِ(18)
7. يلومُ فعَالِي كلَّ يومٍ و ليلـــةٍ ويَعْدُو على الجيران كالأسَدِ الـــوَرْدِ(19)
8. يُخَالِفُنِي في كُلِّ حَقٍ و بَاطِـــلٍ و يَأنَفُ أنْ يَمْشِيَ على مَنهجِ الرُّشْـــدِ
9. فلمَّا تَمَادَى قُلتُ غَيْرَ مُسَامِـــحٍ لهُ: النَّهْجَ فاركَبْ يَا عسيفَ(20) بَنِي نَهْدِ

(*) – التَّخريجُ : الأغاني للأصفهاني 23/12

مُنَاسَبَةُ القصيدَةِ :

أعطى عَبْدُ اللهِ بنُ الحشرجِ بخُراسَانَ حتَّى أعطى مِنشفةً كانتْ عليهِ ، و أعْطى فراشَه و لِحافَه. فقالتْ له امرأتُهُ : لَشَدَ مَا تَلاعَبَ بكَ الشَّيْطانُ ، و صِرْتَ من إخوانه مُبَذِّرا ؛ كَمَا قال الله عزَّ و جلَّ: {إنَّ المُبَذِّرِينَ كانوا إخوانَ الشَّياطِينِ} . فقال عبدُ الله بنُ الحشرَج ، لِرفاعَةَ بنِ زُوَيٍّ النَّهديِ ، و كان أخا له و صديقاً : يا رفاعة ، ألا تَسْمَعَ إلى ما قالتْ هذه الوَرهاءُ و ما تتكلمُ به؟! فقال : صَدَقَتْ و اللهِ و بَرَتْ ! إنَّكَ لمُبَذِّرٌ ، و إنَّ المُبذِرينَ لإخوانُ الشياطين . فقال ابنُ الحَشْرَج في ذلك : هذه القصيدة ، و القصيدة رقم "1" أيضا.

(*) – التخريج :

وردتْ هذه القصيدةُ في أغاني الأصفهاني 29/12 منسوبة إلى عبد الله بن الحَشْرَج.

و قد قالها الشَّاعرُ مُخاطبا رفاعة بنَ زُوَيٍّ النَّهديَّ ، فيمَا كانَ يَلومُه على ما هو فيه منَ التَّبْذِير و الجود.

القصيدة رقم "4"*

و قال : على المتواتر من الوافر

1. ألا بَكَرَتْ تَلومُكَ أمُّ سَلْـــــــــــم ... وَ غَيْرُ اللَّوْمِ أدْنَى لِلسَّـــــــدادِ
2. و ما بَذْلِي تِلادِي دُونَ عِرْضِـــــــي ... بِإسْرافٍ أُمَيْمَ و لا فســـــــادِ
3. فَلا وَ أبيكِ ما أعْطِي صَدِيقِـــــــي ... مُكَاشَرَتِي وَ أمْنَعُـــــــهُ تِلادِي
4. وَ لَكِنِّي امْرُؤٌ عَوَّدْتُ نَفْسِـــــــي ... على عِلاَّتِهَا جَرْيَ الْجَـــــوَادِ
5. مُحَافَظَةً على حَسَبِي وَ أرْعَـــــــى ... مَسَاعِيَ آلِ وَرْدٍ وَ الرِّقَـــادِ

---

* التَّخْرِيجُ : وَرَدَتْ هذه المقطوعةُ الشِّعريَّةُ منسوبة إلى عبدِ اللهِ بن الحَشْرَج الجَعْدِيِّ في شَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ على ديوان حَمَاسَةِ أبي تَمَّام 127/4

1- الشَّرْحُ : استعمالُك غَيْرَ اللَّوْمِ أقربُ في تَسْدِيدي و إرْشَادِي ، إذ كان اللَّومُ رُبَّما يعودُ إغْرَاءاً.
قال التَّبريزي : تلومُك في مَوْضِعِ الحال ، أيْ لا ئمةَ لكَ.

2- الرِّوَايَاتُ :
أثْبَتَ التَّبريزيُّ في شَرْحِهِ على ديوان الحماسة (127/4) رواية أخْرَى و هي :
و ما بَذْلِي تِلادِي دُونَ عِرْضِي ... بِتَسْرافٍ سَرِيرَ و لا فســـــــادِ
الألفاظ : سَرِير : هي سَرِيرَة و حَذْفَ التَّاءَ للضَّرورةِ ، و سَرِيرَةُ : جَارِيَتُه.
الشرح : خاطَبَ نَفْسَهُ في البيتِ الأوَّل ، ثم نَقَلَ الخطابَ إلى الإخْبَار عَلَى عَادَتِهم في كَلامِهم.

3- الرِّوَايَات :وردَتْ رواية أخرى في المَصْدَر نَفْسِهِ، و هو شرح التَّبْرِيزِيِّ 127/4 :(وَ أمْنَعَهُ) بالنَّصْبِ.
الألفاظ : الكَشْرُ : ابداءُ الأسْنَان بالضَّحِكِ.
الشَّرْحُ : قولُهُ : وَ امْنَعُهُ تِلادي ، عَطْفُهُ عَلَى أعْطِي فرفَعَهُ. و المعنَى لا أكْشِرُ للصَّدِيق وَ لا أمْنَعُهُ تِلادِي؛ مَالِي و خَيْرَاتِي.
و رواية (أمْنَعَهُ) بالنَّصْبِ جَائِزٌ ، و يكونُ انتصابُه بأنْ مُضْمَرَة ، و يكون كَقَوْلِهِ : لا يَسَعُنِي شَيءٌ وَ يَعْجِزُ عَنْكَ ، و المَعْنَى لا يَسَعُنِي شَيءٌ عَاجِزاً عَنْكَ.

القصيدة رقم "5"(*)

قال : على المتواترمن الوافر

1.أطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي و بُغضي ... وَ عِشْ ما شئتَ فانظُرْ مَن تَضيرُ

2.فما بِيَدَيْكَ خَيْرٌ أرتَجيهِ ... وَ غَيْرُ صُدُوكِ الخَطبُ الكبيرُ

3.إذا أبصرْتَنِي أعْرَضْتَ عَنِّي ... كأنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

4.و كَيْفَ تَعيبُ مَنْ تُمْسِي فقيراً ... إلَيْهِ حَيْنَ تَحْزُبُكَ الأمورُ

5.و مَنْ إنْ بعتَ مَنْزِلة بأُخْرى ... حَلَلْتَ بأمْرِه وَ به تَسِيرُ

6.أتَزْعمُ أنَّنِي مِلَذٌ كَذُوبٌ ... و أنَّ المَكْرُوماتِ لدَيَّ بُورُ

7.وَ كَيْفَ أكونُ كَذَّاباً مَلُوذا ... وَ عِنْدِي يُطْلَبُ الفَرَجُ الضَّرِيرُ

8.أواسِي في النَّوائِبِ مَنْ أتَانِي ... و يُجبَرُ بي أخُو الضُرِّ الفقيرُ

(*) – التخريج : وردت الأبياتُ منسوبة إلى عبد اللهِ بن الحشرج في أخبارهِ التي أثبتها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني 22/12.

و وردَ البيتان الأوّلُ و الثالثُ في مَوْضِع آخرَ من الأغاني 19/12 بنسبتهما إلى عبدِ اللهِ بن الحشرج الجَعْدِيِّ.

حول الأبيات :

جاء إلى عبدِ اللهِ بن الحشرج و هو بقهستانَ رجلٌ من قُشير يُقال له قُدامةُ بنُ الأحرز ، فدخلَ عليه و أنشأ يقول :

أخٌ و ابنُ عمٍّ جاءَكُمْ مُتَحَرِّماً ... بكُم فارأبوا خِلاَّتِه يابنَ حَشْرَجِ

فأنتَ ابنُ وَرْدٍ سُدْتَ غيرَ مُدافَعٍ ... مَعَدًّا على رَغمِ المَنوطِ المُعَلْهَجِ

فبرَّزتَ عفواً إذْ جَرَيتَ ابنَ حَشْرَجٍ ... و جاءَ سُكَيتاً كبُّ أعقدَ أفحجِ

سَبَقْتَ ابنَ وَرْدٍ كلَّ حافٍ و ناعلٍ ... بجدٍّ إذا حارَ الأضاميمُ مِمْعَجِ

بوَرْدِ بنِ عمرٍو قُثَّمٌ إنَّ مِثْلَهُ ... قليلٌ ، و مَنْ يَنْشرِ المحامِدَ يَفْلَجِ

هُوَ الوَاهِبُ الأموالَ و المشتري اللُّها ... و ضَرَّابُ رأسِ المُسْتَمِيتِ المُدَّجِ

قال : فأعطاه أربعةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، و قال : اعذرني يابنَ عمّي ؛ فإنِي في حالةٍ ، اللهُ بها عليمٌ من كثرة الطلاب ، و أنتَ أحقُّ مَنْ عَذَرَنِي . قالَ : و اللهِ لوْ لم تُعْطِنِي شيئاً مَعَ ما أعْلَمُهُ من جميلِ رأيكَ في عشيرتِكَ وَ مَن انقطعَ إليكَ لعَذَرْتُكَ ، فكيفَ و قد أجْزَلْتَ العطاءَ ، و أرغمتَ الأعداءَ !

و كانَ لابنِ الحشرجِ ابنُ عمٍّ يقول للقُشَيريِّ : وَيْحَكَ ! ليسَ عندَه خيرٌ ، و هو يُكَذِّبُكَ وَ يُمَلِّذُك. فبلغَ ذلك عبدَ اللهِ بنَ الحشرج فقال : الأبيات.

1– الشَّناءَةُ : شدّةُ البُغضِ و الكُرْه و العداوةِ.

4– تَحْزُبُكَ الأمورُ : حزَبه حزْبًا الأمرُ : أصابه و اشتدّ عليه ، فالأمرُ حازب و حزيب أي الأمرُ شديد.

6– المَلِذُ : المُتَصَنِّعُ له كلامٌ و ليس له فعال.

مَلَذَهُ مَلْذا و ملاذَةً : أرضاه بلطيف الكلام ، و أسمعه ما يسرّه ، و لا فعلَ له مَعَه.

القصيدة رقم "6"(*)

و قال على المُتَدارك من الطّويل

1.و عَاذِلةٍ هَبَّتْ بليْلٍ تَلُومُنِـــــــــي ... وَ تَعْذُلُ لُنبي فِيمَا أفِيْدُ و أتْلِـــــــفُ
2.تَلَوَّمْتُها حتَّى إذا هِيَ أكْثَـــــــرَتْ ... أتَيْتُ الّذي كانَتْ لدَيَّ تَوَكَّـــــفُ
3.وقُلْتُ عليكِ الفجَّ أكْثَرْتِ في النَّـــدَى ... وَ مِثْلِي تَحامَاهُ الأَلَدُّ المُعْطَـــــرَفُ
4.أبَى لِي مَا قَدْ سُمْتَنِي غيرُ واحِـــــد ... أبٌ وجدودٌ مَجْدُهَا لَيْسَ يُوصَـــفُ
5.كُهُولٌ و شُبَّانٌ مَضَوْا لِسَبِيلِهِـــــمْ ... إذَا ذُكِرُوا فالعَيْنُ مِنِّي تَـــــذْرِفُ
6.هُمُ الغَيْثُ إنْ ضَنَّتْ سماءٌ بقَطْرِهَـــا ... وَ عِنْدَهُمُ يَرْجُو الحَيـــــا مُتَلَهِّـــفُ
7.و حربٍ يخافُ النَّاسُ شِدَّةَ عَرِّهَـــا ... تَظَلُّ بأنواعِ المنيَّةِ تَصْـــــرِفُ
8.حَمَوْهَا و قامُوا بالسّيوف لِحَمِيهَـــا ... إذا فنِيتْ أضْحَتْ لهُمْ وهيَ تعصِـفُ
9.فلمَّا أبَتْ إلاّ طِماحاً تنمَّـــــروا ... بأسْيَافِهِمْ و القَوْمُ فيهم تَعَجْـــرُفُ
10.فَذَلَّتْ وَ أعْطَتْ بالقيادِ و أذْعَنَـــتْ ... إذا مَا اشتهى قَوْمِي وَذُو الذُّلِّ يَنْصِفُ

---

*- التَّخريجُ : وَرَدَت القصيدةُ مَنْسُوبة إلى ابن الحشرج في أغاني الأصفهاني 28/12

حَوْلَ القصيدَةِ :

قال عبدُ الله بنُ الحشرج لابن عمٍّ له ، لامه في إنهاب ماله ، و تبذيره إيّاه ، و قال له فيما يقول : امرأتُك كانت أعلمَ بكَ ، نَصَحَتْكَ فكافأتَها بالطّلاق. فقال له يابنَ عمّ ، إنّ المرأة لم تُخلَقْ للمشورة ، و إنما خُلقت وِبارا للباءة . و واللهِ إنّ الرُّشدَ و اليُمْنَ لفي خِلافِ المرأة. يابنَ عمّ ، إيّاكَ و استماعَ كلامِ النِّساء و الأخذَ به ؛ فإنّكَ إنْ أخذْتَ به ندمتَ. فقال له ابنُ عمه : و اللهِ ليُوشكَنَّ أن تحتاجَ يوما إلى بعض ما أتْلفتَ فلا تقدرُ عليه ، و لا يُخلِفُهُ عليكَ هَنٌ وَ هَنٌ.

(كناية عن اسم الإنسان ، أي لا يُخلِفُهُ عليكَ فلانٌ و فلان) . فقال ابن الحشرج : الأبيات

2- تَلَوَّمْتُها : أمْهَلْتُها ، تَلَوَّمَ : تَمكَّثَ و انتَظَرَ

تَوَكَّفُ : الأصل : تَتَوَكَّفُ : توقع ، و توكَّفَ الخَبَرَ و الأثَرَ و الشيءَ : توقَّعَهُ و تسقَّطهُ و انتظره.

3-اللغةُ و الشَّرْحُ

الفجُّ : الطريق الواضح البيّن ، و هو الشِّعب الواسعُ ؛ الطريق الواسع بين جبلين ، أو هو كلُّ طريق مُعَبَّد ، ج. فِجَاج و أفِجَّة "و هذه نادرة".

تحاماه : تَوَقَّاه و اجتنبه .

الألَدُّ : الشديد.

المُغَطْرَفُ : المتكبر المختال ، تَغَطْرَفَ : تكبَّر "و التَّاءُ لغةٌ" ، و هو المختال في مشيه .

و الغِطْرِيف : السيد الشريف الشّخي ، و الغِطْرِفَةُ : الخُيَلاءُ و العَبَثُ.

يخاطِبُ زوجتَه قائلا لها : الزمي هذا الطّريقَ البيّنَ ، و يقصدُ به تسريحها أو تطليقها ، لأنّها أكثرتْ الكلامَ و اللومَ فيه لكرمه وجوده.

7- العَرّة : الشدّة في الحرب

تَصْرَفُ و تتصرَّفُ تحتال و تتقلّبُ من جهةٍ إلى أخرى ، و من حالٍ إلى حال.

9- التَّعَجْرُفُ : عدم التروّي في الأمر ، و تَعَجْرَفَ عليهم : تكبّر ، وَ العَجْرَفَةُ : الإقدامُ في هَوَج ، و ركوبُ الأمر لا يُرَوَّى فيه.

11- تَقَفَّقَ : ارتعد و اصطكّت أسنانه غضبا أو بردا أو من الحُمّى.

12- امْتَرَيْنَا : قطعْنَا و جَذَبْنَا ، مَتَر مَتْرا : قطع و بَتَر ، و أمْتَرَ : مَدَّ و امتدَّ ، و تماتَرُوا : تجاذبوا.

الخُلُوفُ : ضرع الناقة ، و كلُّ ذاتِ خفٍّ و ظلف ، أو حلمة الضرع ، و الخلوف من كلِّ شيءٍ : آخره ، و ما كان في أثره ، و يجيء بعدَه. تَرْعَفُ : الرَّعْف ؛ سُرْعَةُ الطعن ، و الرُّواعف : الرِّماح.

13- طباقاً : دفعات متوالية . ارْعَوَتْ : ارعَوَى عن كذا ، كفَّ و انصرف و رجع عنه.

الرِّمام: جمع رِمَّة (بالضم و قد يُكسَرُ) وهي قطعة بالية من الحبل، يُشَدّ بها الأسير، و يُقَيَّدُ بها البعير.

يَتَصَلَّفُ : يَتَكَبَّرُ، و الصَّلَفُ: التكلُّم بما يكرهه صاحبك، و المُدْح بما ليس عندك، و الإدّعاءُ فوق ذلك تكبُّرا.

11.وكانتْ طموحَ الرأسِ يَصْرِفُ نَابُهَا مِنَ الشَّرِّ تَارَاتٍ و طَوْرًا تَفَقَّفُ
10.فذلّتْ وَ أعْطَتْ بالقيادِ و أذعَنَتْ إذا مَّا اشتهى قَوْمِي وَذُو الذُّلِّ يَنْصِفُ
12.فلمَا امترَينَا بالسُّيوفِ خُلُوفَهَا تأبَّتْ عَلَيْنَا و الأسِنَّةُ تُرْعَفُ
13.فَدَرَّتْ طِبَاقًا و ارْعَوتْ بعدَ جَهْلِهَا و كُنَّا رِمَاحًا للذي يَتَصَلَّفُ

القصيدة رقم "7"(*)

و قال على المتوارك من الطويل

1.أحَنْظَلُ دَعْ عَنْكَ الذي نالَ مَالَهُ لِيَحْمِدَهُ الأقوامُ في كُلِّ مَحْفَلِ
2.فكَمْ مِنْ فَقِيرٍ بَائِسٍ قد جَبرتُهُ و مِنْ عَائِلٍ أغْنَيْتُ بعدَ التَّعَيُّلِ
3.و مِنْ مُتْرَفٍ عن مَنْهَجِ الحقِّ جائرٍ عَطَوْتُ بعَضْبٍ ذِي غِرَارَيْنِ مِقْصَلِ
4.وزارَ عَلَيَّ الجُودَ و الجُودُ شِيمَتِي فقُلْتُ له دَعْنِي و كُنْ غَيْرَ مُفْضِلِ
5.فمثْلُكَ قَدْ عَاصَيْتُ دَهْرًا و لم أكُنْ لأسْمَعَ أقوالَ اللَّئِيمِ المُبَخِّلِ
6.أبَى لِيَ جَدِّي البُخْلَ مُذْ كُنْتُ يافعًا صَغِيرًا و مَنْ يَبْخَلْ يُلَمْ و يُضَلَّلِ
7.ويَسْتَغْنِ عنهُ النَّاسُ، فاركبْ محجَّةَ الـ ـكرامِ وَدَعْ مَا أنْتَ عنهُ بمعْزِلِ
8.فإنِّي امرؤٌ لا أصْحَبُ الدَّهرَ باخِلاً لئِيمًا و خَيْرُ النَّاسِ كلُّ مُعَدِّلِ
9.و مُسْتَحْمِقٍ غاوٍ أتَتْهُ نذيرَتِي فلجَّ وَ لَمْ يَعْرِفْ مَعَرَّةَ مِقْوَلِي
10.نَفَحْتُ بِبَيْتٍ يَمْلأُ الفمَّ شَارِدٍ لهُ حَبَرٌ كأنَّه حِيزُ مِعْوَلِ

(*) التخريج :

وردَتْ القصيدةُ بكاملها منسوبة إلى عَبْدِ اللهِ بن الحَشْرَجِ في أغاني الأصفهاني 12/25-27

المناسبة : قال : فقالت له امرأته : و الله ما وَفَّقَكَ اللهُ لحظِّك ! أنهبتَ مالكَ و بدَّرتَه ، و اعطيته هيَّان بن بيَّان – و هو قولٌ يُقالُ لِمَنْ لا يُعْرَفُ هو و لا يُعْرَفُ أبُوهُ – و من لا تدري من أيِّ هَافِيَةٍ هو ! قال : فغضبَ فطلّقها ، و كان لها مُحِبًّا و بها مُعْجَبًا . فعنَّفَهُ فيها ابنُ عمٍّ لها ، يُقالُ له حَنْظَلَةُ

بنُ الأشْهَبِ بن رُمَيْلَة ، و قالَ له : نَصَحَتْكَ فكافأتَها بالطلاق ! فو اللهِ ما وُفِّقتَ لِرُشْدِكَ ، و لا نِلتَ حظَّكَ ، و لقد خابَ سَعْيُكَ بعدَهَا عند ذوي الألْبَابِ. فهلاَّ مَضَيْتَ لطيَّتِك ، و جريْتَ على مَيدانِكَ ، و لم تَلْتَفِتْ إلى امرأةٍ من أهلِ الجهالةِ و الطَّيْشِ لم تُخْلَقْ للمشورةِ ، و لا مِثْلِ رأيِها يُقتَدى به ! فقال ابنُ الحشرج مخاطباً حنظلة : الأبيات.

9- النَّذِيرَةُ : النَّذيرُ و النِّذارة ، الإنذارُ ، و طليعةُ الجيشِ الذي يُنْذِرُهُمْ أمْرَ عدوِّهم. جَمْعُ نُذُر و نَذائِرُ.

المَعَرَّةُ : الأذى و الإسائة. المِقْوَل : اللسان.

10- اللُّغَةُ :

الحَبَرُ : الأثر ، تقول : حَبِرَ حَبَرًا الجرحُ : برئَ و بقي فيه أثر الجرح.

الحِبْرُ : و الحَبْرُ ، و الكسرُ أفصَحُ ، الفتحُ لأبي عُبَيْدٍ و الكَسْرُ للفرَّاء ، و الشَّكُّ فيهما للأصمعي، و الحِبْرُ : الأثرُ من الضَّرْبَةِ إذا لم يَدْمَ

المِعْوَلُ : حَدِيدَةٌ تُجْعَلُ في السَّوْطِ ، فيكون لها غلافاً أو سوطٌ في جَوْفِهِ سَيْفٌ ؛ نَصْلٌ طويلٌ قليلُ العَرْض ، غليظُ المَتْن ، أو سيفٌ قصيرٌ يشتملُ به الرَّجُلُ تحت ثيابه.

11- الألفاظ

الدِّرْيَاقُ : و الدِّرْيَاق : التِّرْيَاقُ ، و هو دواءٌ للسُّموم.

الدُّعَافُ : السُّمُّ القاتِلُ سريعاً ، جمع : دُعُف.

المُنْمَلُّ : السُّمُّ المُنْقِعُ.

12- العَيْهَلُ : و العَيْهَلَةُ : الناقة السريعة ، أو النجيبة الشديدة ، و هي العَيْهُولُ و العَيْهَالُ.

11. فكفّ - و لو لم أرْمه شاعَ قولُـــــه - و صارَ كدرياقِ الذُّعافِ المُثمَّـــل
12. و ليل دجُوجيٌ سريْتُ ظلامَـــــهُ بناجيةٍ كالبُرْجِ وَجْناءَ عَيْهَـــل
13. إلى ملكٍ منْ آلِ مَروانَ ماجِـــــد كريمِ المُحيّا سيّدٍ مُتفضّـــــل
14. يجودُ إذا ضنَّتْ قريشٌ برفدهـــــا و يَسْبِقُها في كُلِّ يوْمٍ تَفضُّـــــل
15. أبُوه أبُو العاصي إذا الْحرْبُ شمَّـرَتْ مَراها بمسْنونِ الغرارَيْنِ منْجَـــل
16. وقُورٌ إذا هاجتْ به الحربُ ، مرْجَـمٌ صَبُورٌ عَلَيْهَا غيرُ نُكْسٍ مُهَلِّـــل
17. أقامَ لأهْلِ الأرْضِ دينَ مُحمَّـــــد و قدْ أدْبَرُوا و ارتابَ كلُّ مُضلـــل
18. فما زالَ حتَّى قوَّمَ الدّينُ سيفُـــــه و عزَّ بحَزْمٍ كُلُّ قَرْمٍ مُحَجَّـــــل
19. و غادرَ أهْلُ الشكِّ شتَّى ، فمنْهُـــمْ قتيلٌ و ناجٍ فوقَ أجردَ هَيْكَـــــل
20. نجا منْ رماحِ القومِ قُدماً و قدْ بـــدَا تباشيرُه في الْعارضِ الْمُتهلِّـــــل

الهوامش :

1- أغاني الأصفهاني 20/12

2- و قيل : هو الحِسي في ا. و قيلَ هو شِيْهُ: لحَصَى الحَسْي تجتمعُ فيه المياهُ . قال الشاعر :

فلثَمْتُ فاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَـــــا شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ

و النَّزِيفُ هو المَحْمُومُ.

قال الأزهري : الحشرجُ الماءُ العَذْبُ من ماء الحِسْي. و الحَشْرَجُ : النُّقرَةُ في الجبل يصفو فيها الماءُ بعدَ اجتماعِه.

و كذا الحشرجُ : الماءُ الذي تحت الأرض لا يُقطَنُ لهُ في أباطح الأرض ، فإذا حُفِرَ عَنْهُ ذِراعٌ ، جاشَ الماءُ ، و تُسَمِّيهَا العربُ الأحْسَاءُ و الكُرَارُ و الحَشَارِجُ. و قال غير الأزهري : الحشرج : الماء الذي يجري على الرَّضراض صافياً رقيقاً.

انظر : تاج الزبيدي (حشرج) 23/2

2- لم تَسْتَنِجْ : لم تتقبَّضْ ، يَدٌ شَنِجَةٌ : ضيِّقة الكفِّ.

3- المتحرِّجُ : الكافُّ عَنِ الإثم.

4- لم يُرتَّج : لم يُغلَقْ ، أرتَجَ إرتَاجاً البابَ : أغلقهُ إغلاقاً وثيقاً.

5- الأعلام 82/4 - 83 (بيروت - دار العلم للملايين - الطبعة السابعة - 1986)

6- نَهْنَهْتُ غَرْبَهَا : كَفَكَفْتُ حِدَّتَها ، وَ زَجَرْتُهَا.

و ناهيك منه و نَهْيُك و نهاك منه : أي كافيكَ من رَجُلٍ.

7-شيطان مريد: خبيث متمرّد، و المَرِيدُ: فعيل بمعنى مارد وهوَ المتجرّد للفساد، والعاتي الشديد العتوّ.

8 مُفَنَّدُ : مُضَعَّفُ الرَّأيِ.

9- تَمَرَّدَ : عَصَا و عَتَا ، و تجاوز الحدَّ في تَمَرُّدِهِ.

10 اللُّها : العَطَايَا ، واحدتُها لَهْوَةٌ . و اللَّهْوَة : الحفنةُ من المالِ أو الألفُ من الدنانير . أو إنها العطيّةُ من أيِّ نوعٍ كانت ، و عامّة هي أفضلُ العطايا و أجزلُها.

11 التِّلْدُ : و التِّلِيدُ كلُّ مالٍ قديمٍ من حيوانٍ و غيره يُورَثُ عن الآباءِ و يتنامى و يزدادُ و ينتج.

12 مَكَارِمُ : يَقصد الشَّاعرُ أنَّ المرءَ يُجْزِ لهم مَكَارِمَ ، ما تَعْيَا بِهَا أمْوَالُهُمُ التِّلْدُ.

13 بَنُو نَهْدٍ : قبيلةُ رفاعَةَ بن زُوَيٍّ النَّهديّ

14- الطَّلَّة : الزَّوجَة ، و الطَّلُّ : المرأةُ اللطيفة ، و أيضاً المرأةُ البذيئة اللسان ، المؤذية ، العجوز.

15 غَوَاتِي:أرادَ الشَّاعِرُ غَوَاتِي، فحذف الياءَ ضرورةً. نَهْدُ بنُ زَيْدٍ: اسمُ قبيلةِ صاحبِهِ رفاعَة.

16- باسلٌ : غاضِبٌ و حريصٌ ، يَقصدُ أنَّه لا يَندَمُ على ما يُقدِّمُه من كرمٍ و عَطاءٍ لغيره من الطالبين.

17 الرُّقَادُ : هو ابنُ عمرو بن رَبِيعَة بن جَعْدَةَ بن كَعْبٍ. و هو من عمومة الشاعر ، و كان شجاعاً سيِّداً جواداً.

18 المَنُوقُ : السَّرِيعُ البكاء ، مئق الرجُلُ : كاد يبكي من شدة الغيظ ، أو بكى و احتدَّ و اشتدَّ بكاؤه .و الوَغْدُ: الضَّعيفُ العقل، الخفيفُ الأحمق، الرَّذل الدَّنيء الخسيس ، أو الضعيف في بدنه.

19 الأسَدُ الوَرْدُ : الأسَدُ الجَرِيءُ المُقْبِلُ عَلَى الشَّيء .

20 العَسِيفُ : الخادم و العَبْد ، و الأجيرُ المُستَهَانُ به.

وَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ"